محاضرات في تاريخ لغة العرب

٩ = الالفاظ الاسلامية

جاء الإسلام والأُمّية فاشيةٌ في العرب . والجهل ضارب بجرانه فيما بينهم ، فأمدهم بما لا عهد لهم به من العلم الكثير ، والانقلاب العظيم . فتكاثرت المعاني . وبذلك تكاثرت المصطلحات الجديدة وعب عبابها . فتمطت اللغة عند ذاك ، وفتحت صدرها الرحيب لضم تلك المصطلحات الجديدة بمعانيها الجديدة . ولم تضق ذرعاً بتحمل ما حملته في هذا السبيل بل نهضت بكل ذلك نهوضَ القادر الأمين . بعد أن كان العربي لا يفقه من شؤون دينه ودنياه إلا النزر البسيط جاءه القرآن والسنة بالفيض الفائض منهما ؛ ثم جاءت الفتوح واتسع سلطان القوم ، فازدحمت اللغة بالمصطلحات الكثيرة التي اقتضتها الأوضاع السياسية والإدارية ، والتطورات الاقتصادية والاجتماعية ؛ ثم لم تزل الأحداث تتوالى والأحكام تتجدد وتتكاثر بتجدد الأحداث وتكاثرها الى أن استوى لدى القوم من المصطلحات الشيءُ الكثير ، حتى أنهم أفردوها بالتأليف وكثرت فيها التصانيف .

وليس معنى هذا أن تلك المصطلحات كلها ارتجلت ارتجالاً أو ابتدعت ابتداعاً ، وإنما جلها معان جديدة نقلت إليها ألفاظ من اللغة كانت مستعملة في معان أخرى تتناسب مع المعاني الشرعية ، وربما عربت الشريعة بعض الألفاظ بمعانيها .

ومن أمثلة المصطلحات الإسلامية « الصلاة » ، وأصلها في لغتهم الدعاء والترحم ، ثم نقلها الشرع الى المعنى المعروف للمناسبة الظاهرة . ومن ذلك « الركوع » وأصله الخضوع ، فنقله الشرع الى الهيئة المخصوصة . ومن ذلك « السجود » فإن أصله التطامن والذلة ، وهو في الشرع عبارة عن الهيئة المخصوصة . ومن ذلك « الزكاة » لم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء . ومن ذلك « المحرم » للشهر المعروف ، فإنه لم يكن معروفاً في الجاهلية وإنما كان يقال له ولصفر : الصفران ، وكان أحد الصفرين من الأشهر الحرم ، وكانت العرب تارةً تحرمه وتارةً تقاتل فيه ، فلما جاء الإسلام وأبطل النسيء سماه النبي (ص) شهر الله الحرام . ومن ذلك « الجاهلية » فإنه اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة . ومن ذلك « الفاسق » أصله خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد ، يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، وكذلك كل شيء خرج عن قشره فقد فسد ؛ ثم نقله الإسلام الى الخروج عن الطاعة ، والأمثلة في هذا أكثر من أن يحاط بها ، ومن أراد التوسع في هذا الباب فليرجع الى الكتب الشرعية من التفسير وغريب الحديث وأصول الدين والفقه وأصوله ، فإنه يقف على فيض من تلك المصطلحات المنبثة هنا وهناك ، وتجدهم هناك يقولون لهذه اللفظة معنيان معنىً في اللغة ومعنىً في الشريعة ؛ وإنما أفردت الألفاظ الإسلامية عن سائر مصطلحات العلوم كالعربية وغيرها لما للشرع من معنى الشمول ، فإن الألفاظ الشرعية تتمتع من الانتشار والشمول بما لا تتمتع به سائر العلوم الأخرى ، فإن الذين يعرفون الصلاة — مثلاً — بمعناها الشرعي ، أكثر بكثير من الذين يعرفونها بمعناها اللغوي ، أما مصطلحات العلوم المختلفة فإن معرفتها بمعانيها الاصطلاحية مقصورة على أهل تلك العلوم ، فمصطلحات النحو — مثلاً — لا يعرفها سوى النحوي ، ومصطلحات العروض لا يعرفها غير العروضي ، بخلاف المصطلحات الشرعية فإنها مشاعة بين جميع أفراد الأمة عامتهم وخاصتهم .

واستعمال الألفاظ الشرعية من قبيل الحقائق عند أهل الشرع ، واستعمالها بمعانيها اللغوية من قبيل المجازات عندهم ، والأمر عند اللغويين بالعكس ؛ فالصلاة بمعناها الشرعي حقيقة عند الشرعيين مجاز عند اللغويين ، وهي بمعناها اللغوي مجاز عند الشرعيين حقيقة عند اللغويين ، ولهذا يقول علماء البلاغة : إن الحقيقة أقسام منها : اللغوية ومنها الشرعية ، وكذلك المجاز منه الشرعي ومنه اللغوي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٠ — الاصطلاح

قلنا إن الألفاظ الشرعية لا تخرج عن كونها مصطلحات ولكنها أوسع شمولاً من مصطلحات سائر العلوم ، لأن أتباع الشرع أكثر عديداً من أتباع كل علم من العلوم الأخرى على حدته ، ولما اتسع نطاق المعارف ، وبسقت دوحتها وتبارت العقول في خدمتها وتنميتها ، وانماز كل علم منها بقواعده ومسائله : من علوم شرعية ، الى لسانية ، الى كونية ؛ وتكاثفت أغصانها وفروعها ، احتاجوا في كل فرع منها الى وضع مصطلحات كثيرة ، للمصطلحات الكثيرة التي زخرت بها تلك العلوم ؛ فمصطلحات العلوم اللسانية تختلف عن مصطلحات العلوم الشرعية ، وهذه تختلف عن مصطلحات علوم الفلسفة : فالعامل عند النحوي — مثلاً — غيره عند الفقيه والفيلسوف ، وكذلك الكلام والتمييز والحال والإعراب والبناء ، الى غير ذلك من الكلم التي اصطلح عليها أهل كل علم في علمهم ، وكان أرباب العلوم اذا جدّ لهم معنى وضعوا إزاءه لفظاً بناسبه ، فإن أعوزهم فزعوا الى الاشتقاق والنحت أو نحوهما ، وقد يتصرفون في اللفظ تصرفاً يغضب اللغويين أو الصرفيين ، ولكنهم لا يبالون بذلك اذا أرضوا المعنى الذي يريدونه ، فقالوا : اللا أردية ، أو العندية ، والمتى ، والأين .. الخ واذا ضنت عليهم العربية أو بالأصح اذا لم يتوفقوا للوصول الى بغيتهم منها ، فزعوا الى التعريب ، فقالوا : (سفسطائية) و (اسطقس) و (إيساغوجي) و (اقرباذين) ... الخ .

وقد تمايزت مصطلحات كل علم عن غيرها ، واذا ضممت مصطلحات العلوم المختلفة الى بعضها يتوفر لديك معجم ضخم له شأنه ، وقد فعل ذلك بعض المتأخرين فتمّ لديهم الشيء الكثير ، ومجموع ذلك يؤلف لغة قائمة بنفسها هي لغة العلم ، وعليها المعوّل في كل لسان .

وأنا أرى أن معجم المصطلحات يجب أن يسبق المعجم اللغوي لأنه ألزم والانتفاع به أكثر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١١ – الالفاظ المولدة

قلنا : إن المنابع الكبرى التي استقيت منها اللغة المعربة إنما هي القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، وكلام العرب الموثوق بعربيتهم ؛ ومن المعلوم أن القرآن تم قبل انتقال الرسول الى الملأ الأعلى بزمن يسير ، وإن الحديث النبوي ختم بانتقاله عليه السلام ، بقي كلام العرب الموثوق بعربيتهم واستمرت الثقة به الى أن اختلت سلائق القوم واضطربت ألسنتهم على أثر اختلاطهم بحمراء الأمم وصفرائها ، فما كاد ينطوي بساط القرن الأول الهجري حتى انقضى عمر الاعتماد على كلام المتحضرة من العرب ، أما العرب المتبدية فامتد أجل الثقة بكلامهم الى ما بعد القرن الأول ، ولكنه لم يطل الى ما بعد القرن الثالث ، إلا في قبائل قليلة كانت معتصمة في شعاف بعض الجبال المنقطعة عن العمران ، أو الضاربة في بعض البوادي النائية التي لا تتصل بالمدر إلا في القليل ، وهم شراذم لا يعتد بهم ، فالأخذ عن حاضرة العرب وما يتصل بها أو يكثر الترداد اليها من أهل البادية ينتهي بجرير والفرزدق ومن في طبقتها ، ومن هناك تبدأ طبقة المولدين من مخضرمي الدولتين ، وعلى رأسها : بشار ، وحماد عجرد ، ووالبة بن الحباب ، ومن في طبقتهم ؛ فما حدث في عهد هذه الطبقة وما بعدها من الألفاظ يسمى مولَّداً ، وبعبارة أخرى ما أحدثه المولدون من الألفاظ يسمى المولد ، ويقابله العربي ، فيقال : هذه لفظة مولدة ، وهذه عربية ؛ كما يقابل المعرب والدخيل بالعربي الصميم ، فيقال : هذا لفظ معرب ، وهذا من الصميم .

وأمثلة الألفاظ المولدة كثيرة تكاد تفوت الحصر ، من ذلك (التحرير) كان الأصمعي يقول : إنه ليس من كلام العرب وإنما هو مولد . و (أخ) كلمة تقال عند التألم والتأوُّه ، والعربي (أح) بالحاء المهملة . ومن المولد (الكابوس) وهو ما يشعر به النائم من الثقل . ومنه (الفطرة) والعربي : صدقة الفطر أو زكاة الفطر ، وهي من الألفاظ الاسلامية . ومنه (التفرج) قال النووي : ولعله مأخوذ من انفراج الغم . ومنه (الجبرية) و (القدرية) من مذاهب المتكلمين ، الأول يطلق على من يقول : الإنسان مضطر في أفعاله غير مختار ، والثاني يطلق على من يقول : بأن الإنسان فاعل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

باختياره وخالق لأفعاله ، ويقال للأولين أهل الجبر ، وللآخرين أهل القدر . ومنه (الطفيلي) وهو من يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها ، وطفيل رجل كوفي كان يغشى الولائم من غير دعوة ويبالغ في ذلك فنسب اليه كل من يفعل مثل فعله ، وعربية الضيفن ، لمن يجيء مع الضيف من غير دعوة ، والوارش لمن يدخل على القوم في طعامهم فيأكل من غير دعوة ، والواغل : لمن يدخل على القوم في شرابهم فيشرب معهم من غير أن يدعى الى الشرب . ومن المولد (المحرقة) وهي الافتعال والاحتيال . ومنه (البحران) وهي أعلى مايصل اليه المرض من الشدة وليس بعده إلا الموت أو البدء بكسر سورة المرض شيئاً فشيئاً ، وهو اصطلاح طبي . ومنه (تبغدد) اذا تشبه بالبغداديين وليس منهم . ومنه (بس) بمعنى حسب ، وقيل هو عربي مأخوذ من البس وهو القطع ، وأنشدوا :

يُحدّثنا عُبيد ما لقينا فبسك يا عبيد من الكلام

وانت ترى ان البس بمعنى القطع ثلاثي . ولفظ بس المستعمل بمعنى حسب ثنائي . وشتان بينهما . نعم لو قال قائل لآخر بَسًّا اي بُسَّ كلامك بسًّا بمعنى اقطعه قطعا لكان صوابا . ومنه (التخمين) وهو القول بالحدس . ومنه « الفشار » للهذيان والاقذاع في القول .

تنبيه :

يعد من المولد كل لفظ كان عربي الاصل ثم غيرته العامة تغييراً ما ، بان كان ساكناً فحركته ، او متحركا فسكنته . او مهموزاً فتركت همزه ، او بالعكس ، او قدمت بعض حروفه على بعض ، او حذفت وما الى ذلك . مثال ذلك ان العرب تقول : في رجل « سَمْح » وفي اسنانه « حَفْر » وفي بطنه « مَغْس » و « مغص » وحدث في الناس « شَغْب » . وجمل « وَعْر » . وبلد « وَحْش » . وجلس في « حَلْقة » القوم ، كل ذلك بسكون العين والعامة تحركها .

وتقول العرب: اصيب فلان « بالتَّخَمَة » . وهو من « التُّخَبَة » اي الخيار . وهذه « لُقَطَة » وهي « تُحَفَة » وتناول « الصِّبر » للدواء المر المعروف . وطلعت « الزُّهَرَة »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للكوكب المعروف « وسَعَف » النخل « والسحَنَة » للهيئة — كل ذلك بالتحريك والعامة تسكنه . والعرب تقول : « هَنَأني » الطعام و « مَرَأني » . و « طرأت » على القوم و « تراأست » عليهم — كل ذلك بالهمز والعامة تتركه .

والعرب تقول: رجل « عزب » وهذه « كرة » . و « تعسه » الله و« كبه » لوجهه . والعامة تزيد فيه الهمزة فتقول : رجل اعزب . وهذه اكرة . وأتعسه الله واكبه . وامثلة ذلك كثيرة تجدها مبثوثة في ثنايا معاجم اللغة ودواوين الآداب وقد افرده بالتأليف جماعة . منهم الموفق البغدادي في ذيل الفصيح . والحريري في درّة الغواص في اوهام الخواص (١) . وقد عقد له ابن قتيبة في باب الكاتب اكثر من باب . وعقد له الجلال السيوطي بابا خاصا في الجزء الاول من كتابه (المزهر) في علوم اللغة وانواعها .

« يتبع »

طه الراوي

(١) المجمع : والجواليقي في كتاب (التكملة في إصلاح ما تغلط فيه العامة) وهو الذي نشره المجمع في الجزء الماضي وطبعه على حدة مع الفهارس العديدة المفيدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net